(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
2024 (آذار), مجلد 2,عدد 1 ,الصفحات 173-190

العنـــف القومـــي عند النحوييـــن

م.د. عقيل حسن خلف الغالبي[1]*
[1]*كلية التربية الأساسية, جامعة سومر, ذي قار, العراق*

الملخص

يتناول هذ البحث العنف الذي مارسه النحويون ضد منافسيهم لأسباب قومية , أي نرى بعض النحويين – المتقدمين والمتأخرين – يلمزون خصومهم بالقومية , ويذكرونهم بأصلهم الأعجمي , فإمّا يفسرون خطأهم النحوي بسبب أعجميتهم , أو يحاولون التقليل من منجزهم العلمي ونسبته لغيرهم , أو يحملونهم صعوبة النحو ووعورته .

الكلمات المفتاحية: العنف , التعصب القومي , النحويون .

National violence according to grammarians

Assistant Professor Dr. Aqeel Hassan Khalaf Al-Ghalibi[1]*
[1]college of Basic Education, University of Sumer, Thi-Qar, Iraq

Abstract

This research deals with the violence practiced by grammarians against their competitors for national reasons, i.e. we see some grammarians - early and late - blaming their opponents for nationalism, and reminding them of their foreign origin, so either they explain their grammatical error because of their foreignness, or they try to reduce their scientific achievement and attribute it to others, or they blame them for the difficulty and difficulty of gramma.

Keywords: violence, national fanaticism, grammarians

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الميامين.

ظاهرة العنف ليست جديدة أو طارئة على المجتمعات , ولا تخصّ مجتمعاً من دون آخر , بل هي ظاهرة قديمة بين بني البشر منذ أن خلقهم الله سبحانه و أوجدهم على هذه البسيطة , ولنا دليل بيّن في قصة أبناء نبي الله آدم عليه السلام قابيل وهابيل, وكيف ضاقت بهما الأرض بما رحبت واصبحا القاتل والقتيل . وليس العنف مقتصراً على مجتمع بعينه , فالممارسون للعنف قد ينحدرون من مجتمع بدوي أو مجتمع متمدن , وقد يكونون من الدهماء العامة أو يكونون من العلماء , فالكل سواسية في هذا الميدان لوجود بواعث العنف وأسبابه .

وأسباب العنف كثيرة , ومنها الحسد ولا سيّما بين أهل الصنعة الواحدة أو بين المتجاورين في بلد واحد وغيرهم , كما اتحفنا الجاحظ بقوله : ((وأسباب عداوات النّاس ضروب: منها المشاكلة في الصناعة، ومنها التقارب في الجوار، ومنها

* **Email address: aqeelghalbi@gmail.com**

التقارب في النّسب، والكثرة من أسباب التّقاطع في العشيرة والقبيلة، والسّاكن عدو للمسكن، والفقير عدوّ للغني , وكذلك الماشي والراكب، وكذلك الفحل والخصيّ))[1]. وكذلك عندما تُقمع الآراء ويُمارس التعسف في إقصاء الأفكار والآراء والتعبيرات تنمو حالات العنف في المجتمع[2] , وقد تكون أسبابه دينية أو طائفية إذ كانت بين المنتمين لدين واحد , أو قوميّة أو عنصريّة وهكذا .

وبعد هذه المقدمة الموجزة عن العنف وأسبابه , بقي علينا أنّ نتعرف على معنى العنف في اللغة والاصطلاح لنتقرب أكثر من مفهومه .

جاء في مقاييس اللغة : ((العين والنون والفاء أصل صحيح يدلّ على خلاف الرفق. قال الخليل: العنف: ضد الرفق. تقول عنف يعنف عنفا فهو عنيف، إذا لم يرفق في أمره. وأعنفته أنا. ويقال: اعتنفت الشيء، إذا كرهته ووجدت له عنفاً عليك ومشقة))[3] .

وجاء في لسان العرب : ((العنف الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق. عنف به وعليه يعنف عنفا وعنافة وأعنفه وعنفه تعنيفاً، وهو عنيف , إذا لم يكن رفيقاً في أمره. واعتنف الأمر: أخذه بعنف. وفي الحديث: "إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف" ؛ هو، بالضم، الشدة والمشقة، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله))[4] .

وقبل تعريفه اصطلاحاً نودّ أن ننوه إلى أنّ مصطلح العنف من المصطلحات المُختلف في دلالتها وتحديدها ؛ ولذا قيل : ((قلّما شهد مفهوم من المفاهيم جدلاً مثل الذي شهده مفهوم العنف , الجدل الذي لم ينحصر في جانب من جوانب ذلك المفهوم دون آخر , وإنّما يكاد يتسع ليشمل كلّ جوانبه.

وعلى الرغم من كثرة المراجع التي تناولت مفهوم العنف من حيث المعنى , إلّا أنّ تحديد معناه ما زال موضع أخذ وردّ من قبل المهتمين في هذا المجال))[5].

أمّا في الاصطلاح فله تعريفات متعددة منها ((الممارسة المفرطة للقوة بشكل يفوق ما هو معتاد عليه ومقبول اجتماعياً, وهو يتضمن لغة التداول في الأوساط والجماعات سواء كانت اجرامية أو مسلحة , وقد يكون العنف على شكل كلام أو أفعال))[6] .

وهو كذلك ((سلوك ايذائي قوامه انكار الاخرين كقيمة للأنا أو للنحن , كقيمة تستحق الحياة والاحترام , ومرتكزه على استبعاد الآخر , إمّا بالحط من قيمته , أو تحويله إلى تابع , أو بنفيه خارج الساحة , أو تصفيته معنوياً أو جسدياً))[7] .

من خلال تعريف العنف اللغوي والاصطلاحي نجده يدلّ على القوة والشدة , وله صور مختلفة , كأن تكون على شكل الضرب , أو الشتم , والسبّ , أو أدنى كلام يُسبب خدشاً للكرامة الإنسانية , وهو ليس ((فعلاً مادياً يمارسه فرد ضد فرد آخر، بل هو أيضاً حدث لغوي أو فعل كلامي , يُعبّر عن موقف سيكولوجي انفعالي يُنجَز في مقام تواصلي تفاعلي سِمته البارزة التنازع والخصام، فيتولد العداء والكره والبغضاء، بل المضرة والأذى. فهو شعور وانفعال داخلي، وسلوك ورد فعل خارجي. وهذان المظهران - الداخلي والخارجي - تُعبّر عنهما اللغة في كل مستوياتها الرمزية والبنيوية (الصوتية، والمعجمية، والدلالية، والصرفية، والتركيبية))[8] .

من التعريفات السالفة يتبيّن أنّ العنف لا يقتصر على القتل والبطش والاغتصاب وما إلى ذلك من التصرفات العنيفة , وإنّما قد يكون قولاً مقيتاً يسبب جرحاً غائراً في النفس يصعب الشفاء منه.

العنف القومي

بعد اتساع الفتوحات الاسلامية , وازدياد رقعة الاسلام , ودخول الاعاجم في دين الله افواجاً , صار لزاماً عليهم تعلّم اللغة العربية ؛ لأنّها اللغة الرسمية للدولة في المخاطبات , والمراسلات , والدواوين , فتعلموا العربية واتقنوها بامتياز , فبرع منهم العديد من النحويين الذين يُشار اليهم بالبنان , وأثروا الساحة العلمية في مدوناتهم النحويّة والصرفيّة , أمثال سيبويه , وأبي علي الفارسيّ , والسيرافيّ , وابن جنّيّ الذين ملأوا الدنيا وشغلوا الناس عن طريق التأليف والتدريس , وغيرهم الكثير , فكأنّ العامة استكثروا على أولئك الاعاجم اتقانهم للغة العربية حتى فاقوا أقرانهم من العرب الاقحاح فراحوا يغمزونهم في أرومتهم وقوميتهم بين الفينة والأخرى.

وعلى الرغم من أنّ اغلب النحويين هم من أصول غير عربيّة كما أسلفنا , إلّا أنّهم تعرضوا للغمز من جهة القوميّة من نحويين آخرين تعصباً للقوميّة العربيّة , أو تحقيراً وازدراء من قوميتهم ,أو لمجرد الاختلاف , أو بسبب نوازع نفسية مقيتة, على الرغم من تأكيد الدين الاسلامي مراراً وتكراراً على عدم تفضيل جنس على آخر إلّا بالتقوى, ومحاولاته العديدة في سبيل ذوبان العنصرية وانصهارها في بوتقة المجتمع الاسلامي الواحد , إلّا أنّ رواسبها ظلت عالقة تعصف في أذهان العامة , ومنهم الإسلاميون أمثال التابعي الشَّعْبيّ الذي مرّ يوماً بناس من الموالي وهم يتذاكرون النحو , فقال متهكماً : لئن أصلحتموه أنّكم لأول من أفسده[9] , فإذا كان هذا منطق الإسلاميين منهم فما بالك بما دونهم من الدهماء؟!.

ولم يخلع المجتمع العربي في ذلك الوقت جلبابه القبليّ بسهولة ويسر, ويتقبل غير العربيّ على أنّه إمّا أخ له في الدين , أو نظير له في الخلق , بل ((كانت الفوارق بين الطبقات كبيرة , وكان الاعزاز بالقوميّة , والتغني بمآثر الأجداد , محور أعمالهم وتصرفاتهم . وكانت نظرتهم الى الأجانب على أنّهم محكومون , فعليهم أن يقوموا بواجباتهم نحو الحاكمين))[10].

وهذه النظرة ولّدت عند الموالي ردّة فعل عنيفة , بل قد تكون أعنف وأقسى , فسلك بعض النحاة مسلك الشعوبيّة كأبي عبيدة الذي ألّف كتاباً في مثالب العرب[11], وبعضهم اكتفى فقط بالطعن على العرب أمثال ابن أبي اسحق , وعيسى بن عمر[12], ولم تكن هذه الخطوة غير الموفقة من أولئك النحاة من دون وجود مقدمات قاسية مورست ضدهم من المجتمع الذي لم يتقبلهم بعد.

ويكفي التذكير بالأرومة والأصل غير العربي بأنّه مسبة واستنقاص , ومن طريف ما يُحكى أنّ الشاعر بشار بن برد (الفارسيّ الأصل) هجا سيبويه لعدم استشهاده بشعره , ونبزه بأصله الفارسي بقوله :

أسيبويه يابن **الفارسية** ما الذي تحدثْتَ عن شتمي وما كنت تنبذ

أظلْتَ تُغني سادراً في مساءتي وأمّك بالمصرينِ تعطي وتأخذ[13]

ابن برد أحسّ بدهائه الشعري أنّ غمز سيبويه في قوميته الفارسيّة سيسبب له حرجاً نفسياً ؛ لأنّه يسعى لتأليف كتاب في اللغة العربية , بمعنى ما أنت إلّا فارسيّ الأرومة والنزعة , فمتى أصبحت تُقيم العربي الأصيل من غيره؟

وظل سيبويه وغيره من الأعاجم يتعرضون لهجمات عنيفة بسبب قوميتهم التي تتناقض – بحسب بعضهم- ومجال إبداعهم الفذّ والنادر في اللغة العربية , وهذا التنابز القومي هو الذي خلق سيبويه وخلّده نجماً متلألئاً في سماء العربية , حتى ألّف قرآن النحو الذي كُتب له الخلود ما بقي الدهر ؛ وذلك حينما ذهب إلى حماد بن سلمة النحوي المعروف عنه استهجان اللحن ليستملي منه الحديث النبوي الشريف ((مع قوم يكتبون شيئاً من الحديث، فكان فيما أمليت ذكر الصفا عن رسول الله ﷺ فقلت: (صعد رسول الله ﷺ الصفا) وهو الذي كان[14] يستمل فقال: (صعد النبي ﷺ الصفاء) . فقلت: **يا فارسي** لا تقل الصفاء؛ لأن الصفا مقصور. فلما فرغ من مجلسه كسر القلم وقال: لا أكتب شيئاً حتى أحكم العربية))[15].

وإذا وازنا بين هذه الرواية والأخرى التي تقول إنّ سيبويه لحن في قول النبي صلى الله عليه واله بقوله : ((ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء)), فنصب كلمة أبا الدرداء على أنّها في محل خبر ليس , وقال له

حماد : لحنت يا سيبويه[16] , نجد أنّ الأخيرة أشهر بيد أنّ الباحث يرى أنّ الأولى أقرب للصحة ؛ وذلك لأنّها تذكر أنّ حماد عيّره بأصله الفارسي , وهذا يُشكّل دافعاً قوياً لتعلم العربية واتقانها , إذ ليس مجرد تنبيهه على لحن في مناسبة ما يمكن أن يجعل الإنسان مصمماً على الوقوف على أسرار العربيّة واتقانها؛ لأنّ اللحن قد شاع وفشا في أوساط العرب الأقحاح في تلك الفترة فضلاً عن الأعاجم.

العنف القومي عند نحويي المشرق

ظل سيبويه إلى وقتنا الحالي في مرمى خصومه القوميين الذين ما لبثوا يذكّرون بأورمته الفارسية , ومن أولئك النحويين الذين تعرضوا لإمام النحو بالتجريح أبو موسى الحامض الذي قال للزجّاجّ : ((والله إنّ صاحبكم ألكن- يعني سيبويه- فأحفظني ذلك. ثم قال: بلغني عن الفرّاء أنّه قال: دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه فسمعتهم يذكرونه بالحفظ والدراية وحسن الفطنة , فأتيته فإذا هو **أعجم** لا يفصح، سمعته يقول لجارية له هات ذيك الماء من ذاك الجرة، فخرجت من عنده ولم أعد إليه))[17].

ولم تنتهِ الحكاية عند ذلك بل عضّد ثعلب رأي الحامض قائلاً : ((قد وجدت في كتابه نحواً من هذا، قلت: ما هو؟ قال يقول في كتابه، في غير نسخة: «حاشا» حرف يخفض ما بعده كما تخفض حتى وفيها معنى الاستثناء))[18]، ويرى ثعلب أنّ سيبويه حينما قال : حرف (يخفض) ما بعده كما (تخفض) حتى, فذكّر مرّة وأنّث أخرى بسبب العجمة , وقد أحسن الزجّاجّ ردّه بأنّ ذلك عائد إلى الحرف في الأول وإلى الكلمة في الأخرى[19], وهذا مما لا يخفى على ثعلب ؛ ولكنّه أراد الاستنقاص منه فلم يجد إلّا العجمة لوقعها الأليم في النفوس.

وعاد الحامض مرّة أخرى لغمز سيبويه في لكنته , وذلك حينما فسّر سبب احتفاظ كتاب سيبويه عند الفرّاء , فذكر أنّ سبب ذلك هو استخراج أخطاء الكتاب ولكنة سيبويه[20]، وسيبويه لم يكن ألكناً بل كانت لديه حبسة في لسانه لا يُبين كلامه مثل أقرانه , ويُحكى أنّه تناقش مع الأصمعي بحضرة يونس بن حبيب الذي قال : إنّ الحق مع سيبويه ولكنّ الأصمعي غلبه بلسانه[21], وهذه اللكنة إن وجدت لا تُنقص من قيمة عمله وإبداعه في حُسن التأليف المادة وتبويبها وجمعها , وما يُسطّر في القلم غير ما يُلفظ باللسان.

العنف القومي ضد القرّاء

ولمّا كان أغلب القرّاء السبعة من غير العرب فقد هُوجِموا من قبل النحويين إذا تعارضت قراءتهم مع القواعد النحويّة التي أقروها , مع علم النحويين أنّ القرّاء متعبدون بالنصّ ولا اجتهاد لهم في القراءات , ومن اولئك النحويين أبو عثمان المازني وتلميذه المبرّد, إذ غمزا القارئ نافع المدني حينما قرأ (معائش) بالهمز فعلّق المازني ((فأمّا قراءة من قرأ من أهل المدينة "معائش" بالهمز فهي خطأ, فلا يلتفت إليها، وإنّما أخذت عن نافع بن أبي نعيم، ولم يكن يدري ما العربية, وله أحرف يقرؤها لحناً نحواً من هذا))[22], وردّد المبرد كلام المازني في معرض حديثة عن الكلمة نفسها[23].

وردّ أبو حيّان كلام المازني بأنّ ((لو فرضنا أنّه لا يدري ما العربية , وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب , فهو لا يلزمه ذلك ؛ إذ هو فصيح متكلم بالعربية ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء))[24]، و لو كان المدنيّ من العرب الأقحاح لما قالا بحقه : إنّه لم يدرِ ما العربيّة ؛ بل لأنّه من الموالي ((وكان أسود اللون حالكاً وأصله من أصبهان))[25].

وما أخفاه بعض النحويين أظهره ابن قتيبة الدينوري وبمنتهى الوضوح , فقد رأى أنّ القرّاء العجم هم من أفسدوا القراءات القرآنيّة, وذلك في قوله : ((ثم خلف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء **العجم** ليس لهم طبع اللغة، ولا علم

التكلّف، فهفوا في كثير من الحروف وزلّوا وقرؤوا بالشاذ وأخلّوا ... لم أرَ فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطاً، ولا أشد اضطراباً منه[26]؛ لأنّه يستعمل في الحرف ما يدعه في نظيره، ثم يؤصّل أصلاً ويخالف إلى غيره لغير ما علّة. ويختار في كثير من الحروف ما لا مخرج له إلا على طلب الحيلة الضعيفة. هذا إلى نبذه في قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز، فإفراطه في المد والهمزة))[27].

وربّما لهذا السبب , نرى أغلب النحويين القدماء ولا سيّما البصريين يضربون عن القراءات صفحاً, ويطوون عنها كشحاً لأنّهم من الأعاجم .

العنف القومي عند الأندلسيين

يُعدّ أبو الحسين ابن الطرّاوة من النحويين الذين اتخذوا المنهج القومي سبيلاً لمهاجمة النحويين غير العرب , وذلك ما نراه في كتابه (رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح) الذي تعقّب فيه كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ,فبعد أن هاجم فيه شواهد الفارسي وأمثلته, وشكّك بأنّها جاءت على سمت العربيّة , من نحو (زيدٌ أخوك), وهذا ((المثال المتقدم – كما ترى- صحيح عربيّة , ولكنّ ابن الطرّاوة يأخذ عليه أنّه ائتلف من أكثر من اسمين , وقد مثّل به الفارسي لما يأتلف من اثنين فحسب . على أنّ هناك أمثلة أخرى تمثّل بها الفارسي ويراها ابن الطرّاوة مخالفة لسمت العربيّة وقد حمل عليه حملة عنيفة))[28].

ومثّل الفارسي (زيدٌ الخبزُ آكله هو) في باب المبتدأ والخبر , ورأى أنّ الضمير في اسم الفاعل (آكله) يعود على الخُبز , والضمير (هو) يعود على زيد ؛ وبذلك ترفع الخُبز , وإن نصبت الخبز فيكون من باب الاشتغال من نحو (زيداً ضربته) , ولكن لا يجوز اظهار الضمير(هو) [29]، فعلّق ابن الطرّاوة متهكماً على هذا المثال ((ولو اجتمعت الجنّ والإنس وكان بعضهم لبعض ظهيراً ما فهموا هذا الكلام))[30].

وهذه الاعتراضات ما هي إلّا مقدمات لكي يعبّر صراحة عن ما يدور في خلده بأنّ الفارسي قد نحا هذا النحو لكونه أعجمياً , وهذا ما صرّح به بعد هذه التلميحات وذلك في باب النداء ؛ اعتراضاً على قول الفارسي في هذا الباب بعد أن وصف عبارة الفارسي بأنّها سيئة وبعيدة الإشارة استشهد بالمثل (ومن اشبه أباه فما ظلم)[31], قال بالنصّ : ((إلّا أنّه قال : الأسماء المُناداة , بهذا اللفظ , ولعلّه من الكاتب ووهمٌ فيه, وفيه الإضافة إلى (أنّ), وفي غيره من الأبواب في مثل قوله : بدلالة أنّ كلّ موضع يقع فيها اسماً , وهذه **عجمة قبيحة**, تنبو عنها الأسماع , ولا تقبلها الطباع))[32].

فقد عمد ابن الطرّاوة إلى أن يقتطع النصّ ويبتره حتى يتهم الفارسي بالعجمة[33], فالعبارة الرئيسة الواردة في الكتاب ((بدلالة أنّ كلّ موضع تقع فيها أسماء يكون فيها دلالات على الخطاب))[34]، وقد اقتطع ابن الطرّاوة النصّ حتى يُخرج ما يُكنّه للفارسي من اتهامه بالعجمة , مستهلاً كلامه بضرب المثل (ومن اشبه أباه فما ظلم) , ودلالته واضحة بأنّك حذوت حذو أبيك الفارسيّ , وإلّا لا يُوجد مبرر لضرب هذا المثل , وختم كلامه بأنّ عبارته أعجمية وأنّ الطبع يلفظها , إلّا إن كان طبعاً أعجمياً، والمفارقة أنّ ابن الطرّاوة شأنه شأن أغلب النحويين الأندلسيين الذين ينحدرون من أصول غير عربيّة , ولطالما حرصوا أن ينتسبوا للعرب[35], إذ فهو بربري[36].

ويُعدّ أبو حيّان من النحويين الذين بالغوا جداً في التأكيد على العامل القومي واستعمله بشكل سيء ضد نحويين آخرين أمثال أبي علي الفارسي والزمخشري , إذ تعقّب اراءهم النحويّة وغلّطهم وربط ذلك بما أسماه العجمة .

ومثال ذلك ما ذهب إليه أبو علي الفارسي والزمخشري في اعراب قوله تعالى : { **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** }[ال عمران : 19], التالي لقوله تعالى : { **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ** }[آل عمرن:18]، فقُرأت همزة (إنّ) بالكسر والفتح , إذ ذهب الفارسي إلى أنّ من قرأ بالفتح , يكون إعراب المصدر المؤول من (أنّ

ومعوليها) بدل كل من كل إذا أبدلته من قوله تعالى { أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ } المتقدم قبله , فيكون المعنى في تلك الحالة شهد الله أنّ الدين عنده الإسلام .

أو يكون بدل اشتمال من منه عينه , ويكون المعنى أنّ الإسلام يشمل التوحيد أو العدل , أو يكون بدل اشتمال أيضاً من القسط ؛ لأن الدين الإسلامي دين قسط وعدل[37]، ورأى الزمخشري هذا الوجه الاعرابي ولكن من دون ان يعزوه للفارسي[38],

فبعد أن ذكر الأندلسي رأييهما قال : ((فانظر إلى هذه التوجيهات البعيدة التي لا يقدر أحد على أن يأتي لها بنظير من كلام العرب، وإنما حمل على ذلك **العجمة**، وعدم الإمعان في تراكيب كلام العرب، وحفظ أشعارها ذلك، والذي خرجت عليه قراءة: أنّ الدين، بالفتح هو أن يكون الكلام في موضع المعمول: للحكيم، على إسقاط حرف الجر، أي: بأن؛ لأنّ الحكيم فعيل للمبالغة: كالعليم والسميع والخبير، وكما أشرنا إليه في خطبة هذا الكتاب: أنه لا يكفي النحو وحده في علم الفصيح من كلام العرب، بل لا بدّ من الاطلاع على كلام العرب، والتطبع بطباعها، والاستكثار من ذلك))[39].

وتعليق أبي حيّان على إعراب الفارسي والزمخشري لم يرق لتلميذه السمين الحلبي الذي عنّفه بشده في قوله : ((ونسبته كلام أعلام الأمة إلى **العجمة** , وعدم معرفتهم بكلام العرب , وحملهم كلام الله على ما لا يجوز، وأنّ هذا الوجه الذي ذكره هو تخريج سهل واضح غير مقبولة ولا مسلمة، بل المتبادر إلى الذهن ما نقله الناس، وتلك الاعتراضات بين أثناء كلمات الآية الكريمة موجود نظيرها في كلام العرب، وكيف يجهل الفارسي والزمخشري والفرّاء وأضرابهم ذلك؟، وكيف يتبجح باطلاعه على ما لم يطلع عليه مثل هؤلاء؟، وكيف يظن بالزمخشري أنّه لا يعرف مواقع النظم وهو المسلم له في علم المعاني والبيان والبديع،؟ ولا يشك أحد أنّه لا بدّ لمن يتعرض إلى علم التفسير أن يعرف جملة صالحة من هذه العلوم))[40].

و يُعدّ أبو حيّان من النحويين المتأخرين إذا ما قورن بأولئك الأعلام , فقد بزغ نجمه بعد أن استوى النحو على سوقه على يد جملة من النحويين الأعاجم الذي لا ينُسى فضلهم ولا يُجحد سعيهم, وبعد ذلك كلّه ينسب لهم العجمة , ويتهمهم بعدم الاطلاع على سُنن كلام العرب !!.

وعاود أبو حيّان الكرّة مرّة أخرى مع الزمخشري , وغمزه في أورمته وذلك في إعرابه لقوله تعالى : {**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** } [لقمان :27] ، فقال أبو حيّان بعد تفسيرها : ((وتقديره: ولو أنّ الذي استقر في الأرض كائناً من شجرة وأقلام خبر لأنّ، وفيه دليل على بطلان دعوى الزمخشري وبعض **العجم** ممن ينصر قوله: إنّ خبر أنّ الجائية بعد لو لا يكون اسماً جامداً ولا اسماً مشتقاً، بل يجب أن يكون فعلاً، وهو قول باطل، ولسان العرب طافع بالزيادة عليه. قال الشاعر:

ولو أنها عصفورة لحسبتها ... مسومة تدعو عبيدا وأيما

... وهو كثير في لسانهم))[41].

وأشار أبو حيّان الى رأي الزمخشري في المفصل وهو (أنّ) الواقعة بعد (لو) يجب ((أن يكون خبرها فعلاً كقولك: لو أنّ زيداً جاءني لأكرمته , وقال الله تعالى: { **وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ** }[النساء:66] . ولو قلت : لو أنّ زيداً حاضري لأكرمته لم يجز))[42].

الحق أنّ الزمخشري قد توهم في هذه المسألة , وقد ردّ عليه كلٌ من ابن الحاجب[43] وابن مالك[44] ووردت العديد من الشواهد العربيّة الصحيحة تُثبت عدم صحة كلامه , ولا أصح من القرآن الكريم كما في قوله تعالى : {**يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ** } [الأحزاب : 20], وهي الآية التي استشهد بها ابن هشام[45] في معرض ردّه على الزمخشري , إلّا أنّ هؤلاء الأعلام لم يرو أنّ العجمة هي التي دعته لانتحال هذا الرأي ؛لاعتقادهم أنّ المسائل النحويّة قابلة للقبول والردّ ؛ فهي مسائل اجتهادية لا نصّ فيها , ويمكن أن نتعذر للزمخشري بما يُنقل في اللسان العربي أنّ لكلّ جواد كبوة ولكلّ عالم زلة.

وماذا يقصد أبو حيّان بعبارة (وبعض **العجم** ممن ينصر قوله؟) , فمن هؤلاء العجم؟ فإن كان يعني ابن يعيش لأنّه لم يعترض على رأيه حينما شرح المفصل[46], فابن يعيش عربي صرف من قبيلة أسد[47], فالأمر لا يعدو كونه اجتهادياً فقد يخطأ فيه العالم أو قد يُصيب بغضّ النظر عن العروبة والعجمة.

ولم يكتفِ أبو حيّان بهذين الموردين المذكورين آنفاً , بل عاد مرة أخرى ليلمز الزمخشري بأصله **الأعجميّ** مع التندر والاستهزاء منه بكلام يصعب استساغته بحق علم من أعلام اللغة العربيّة على مرّ العصور والأزمان , وذلك في معرض إعرابه لقوله تعالى : { **وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ ۞إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِياءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ** } [التوبة: 92 – 93]، فقال الزمخشري : ((فإن قلت: هل يجوز أن يكون قوله «قلت لا أجد» استئنافاً مثله «يعني مثل { **رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ** } [التوبة : 87] كأنه قيل: إذا ما أتوك لتحملهم تولوا، فقيل: ما لهم تولوا باكين [فقيل] قلت: لا أجد ما أحملكم عليه، إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض .قلت: نعم ويحسن))[48].

فعلّق أبو حيان على هذا الرأي بقوله : ((ولا يجوز ولا يحسن في كلام العرب، فكيف في كلام الله وهو فهم **أعجمي**))[49]، وهذا التعليق من أبي حيّان كان محل استغراب من السمين الحلبي الذي قال : ((وما أدري ما سبب منعه وعدم استحسانه له مع وضوحه وظهوره لفظاً ومعنى؟ وذلك لأن توليهم على حاله، فيصير الدمع ليس مترتباً على مجرد مجيئهم له عليه السلام ليحملهم، بل على قوله لهم {لا أجد مآ أحملكم} ، وإذا كان كذلك فقوله عليه السلام لهم ذلك سبب في بكائهم، فحسن أن يجعل قوله {قلت: لا أجد مآ أحملكم} جواباً لمن سأل عن علة توليهم وأعينهم فائضة دمعاً، وهو المعنى الذي قصده أبو القاسم))[50].

والمعنى الذي ذكره الزمخشري واستساغه الحلبي لا يُمكن أن يخفى على الأندلسي, ولكنّ التعصب ضده هو من أعصب عينيه ضد توجيهاته النحويّة وما يترتب عليها من معان مقبولة ، و لم يقتصر أبو حيّان على تلكم الألفاظ الجارحة بحق الزمخشري , وإنّما زاد بأن نعته **بالعجمي** الضعيف في النحو في موطن أخر من تفسيره [51]، و ردودّ أبي حيّان ضد الزمخشري ومحاولة توهينه واستنقاص قابلياته المعرفيّة تتناقض وكلامه على الزمخشري وابن عطية وتفسيرهما وقيمة كشّافه في خطبة تفسيره البحر المحيط الذي قال عنهما : ((هذا أبو القاسم محمود بن عمر المشرقي الخوارزمي الزمخشري , وأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي، أجل من صنّف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير. وقد اشتهرا ولا كاشتهار الشمس، وخلدا في الأحياء وإن هداني في الرمس، وكلامهما فيه يدل على تقدمهما في علوم، من منثور ومنظوم، ومنقول ومفهوم، وتقلب في فنون الآداب، وتمكن من علمي المعاني والإعراب، وفي خطبتي كتابيهما وفي غضون كتاب الزمخشري ما يدلّ على أنهما فارسا ميدان، وممارسا فصاحة وبيان))[52].

أبو حيّان لم يعرف قطعاً القيمة العلمية للزمخشري , وهو الذي شهد له بأنّه فارس ميدان في العربيّة, وقد تكون المشكلة معه دينية كما فسّرها الحلبي[53], وكان عليه أن يُركز في (انحرافه العقائدي) - من وجهة نظره - فقط من دون أن يرميه بالعجمة التي سببت عدم فهم كلام العرب على حدّ وصف أبي حيان.

العنف القومي عند النحاة المحدثين

لقد فتح هذا الطعن بأرومة الزمخشري الباب للأستاذ سعيد الأفغاني أن يحذو حذوه , ويدلي دلوه في الردّ عليه , وذلك في معرض حديثه عن اعتراضات الزمخشري على القراءة الواردة في قوله تعالى: { **زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ**

شُرَكَاؤُهُمْ}[الانعام:137], فبعد أن وصفه بالجهل الساذج في علم القراءات , قال بالنصّ : ((وكان على الزمخشري وهو (**أعجميّ**) تخرّج بقواعد النحاة المبنية على الاستقراء الناقص ,أن يتحرى لنقد عربي[54] قويم الملكة فصيح اللسان حجة في لغة العرب , شيئاً غير هذه الخطابيات))[55].

ثم ذكر في الهامش أنّه قد قال كلامه العنيف ضد الزمخشري قبل بضع سنين فعذله بعضهم , ولكنّه وبحسب قوله عندما رأيت تعليقات الشيخ علي النوري السفاقسي صاحب كتاب (غيث النفع في القراءات السبع) , وتعليقات ابن المنير الاسكندراني على الزمخشري وجدت كلامي تنقيصاً بحق العربيّة إذا ما قيس بكلامهما!.

وكلام الأفغاني مردود , ولا وجه للمقارنة مع انتقادات هذين العالمين ؛لأنّهما انطلقا في تعنيفه من خلفيات عقدية تتعلق بعقيدته الاعتزالية , ولم يكن الدافع لهما من منطلق حرصهما على القراءات واللغة العربيّة , فأمّا السكندراني فعنوان كتابه (الانتصاف فيما تضمنه الكشّاف من الاعتزال) يفصح ذلك , وكذلك اعتراضات صاحب (غيث النفع) فكانت أسبابها ومنطلقاتها دينية كذلك , بدلالة قوله : ((والحاصل أنّ الرجل لسوء سريرته , وفساد طريقته , كثير الطعن في القراءات المتواترات , وله جرأة عظيمة على خواص خلق الله تعالى , رزقنا الله الأدب معهم , كما يُعلم ذلك من وقف على الكشّاف الكاشف لحاله ورافضيته واعتزاله))[56], فلم يكتفِ بالتذكير بمذهبه الاعتزالي بل ذهب لاتهامه بالرفض, فبان دافع الهجوم , فكان على الاستاذ الأفغاني التصريح بذلك بدلاً من اتهامه بالعجمة .

والمفاجئة الغريبة إذا عرفنا أنّ أبا حيّان الذي صدّع رؤوسنا بالعجمة , وكذلك الأفغاني ليسا عربيين أكثر من الزمخشري , فكلاهما لا يمت للعربيّة من جهة القوميّة بصلة , فالأول ينتسب إلى قبيلة نفزة التي هي إحدى قبائل البربر[57], والآخر يرجع أصله إلى افغانستان[58], وكأنّ لسان حال الزمخشري يقول :(رمتني بدائها وانسلت).

ومن النحويين المحدثين الذين هاجموا سيبويه (الفارسي) الأستاذ عباس حسن الذي يرى أنّ قوميته التي عقدّت النحو من وجهة نظره ولا سيّما في لغة كتابه (الكتاب) , فيرى أنّ (اللغة الموجزة الكزّة (لغة المتون وأشباهها) معيبة اليوم , وكذلك اللغة المضغوطة المزدحمة بالدلالات والإشارات والحكام النحويّة الدسمة , وأوضح مثال لهذين : (كتاب سيبويه) الذي يُمثل في كثير من نواحيه لغة **الفارسي المستعرب** , في إيجازها وفي ازدحامها بالمعاني قد يبلغ حدّ التخمة , مع التواء حيناً , وعجز قد يبلغ حدّ اللكنة أحياناً ... استمع إليه حين يقرّر القاعدة النحوية المشهورة وهي : أنّ الخبر مرفوع بالمبتدأ فيقول : ((فأمّا الذي بُني عليه شيء هو هو فإنّ المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء)[59], فأيّ كلام هذا؟ وما ترجمته؟ فقد تعب أرباب الشروح والحواشي في إبانته وتوصيل مراده إلى الأذهان , فهل تتسع عقول الطلاب – حتى كبارهم – وأوقاتهم في عصرنا الحاضر لفهمه؟))[60] .

يرى الأستاذ عباس حسن أنّ لغة سيبويه في الكتاب معقدة, ومضغوطة , وكزّة, وغير مفهومة ؛ بسبب أنّ أصله فارسي , ويراها كذلك معيبة وعسرة الفهم بالوقت (الحالي) , نعم إنّها كذلك , ولكن ليس لأنه فارسيّ ؛ وإنّما هذا الأسلوب من الكتابة بهذه اللغة كان سائداً وطبيعياً يتماشى مع العصر الذي يعيش فيه سيبويه , ولم نسمع تذمر أو شكوى من أسلوب الكتاب في عصره , بل سمعنا التذمر من صعوبة النحو , وفرقٌ بين الاثنين , ثمّ ما يقول الأستاذ عباس حسن عن أسلوب ابن هشام الأنصاري (العربيّ) ولغته المضغوطة في كتابيه (المغني) و(أوضح لمسالك)؟ وهو الذي جاء بعد سيبويه بحوالي خمسة قرون , فهل تتسع عقول الطلاب (في الوقت الحالي) لفهمها!, المشكلة ليس لأنّه فارسي ؛ وإنّما بثقافة العصر الذي عاش فيه ونمط التأليف.

وهناك عنف من نوع آخر مارسه بعض المحدثين - المتحمسين للقومية العربية- ضد سيبويه , وهو مقابلة جميله وعرفانه بتأليف قرآن النحو بجحود ونكران ؛ وذلك بادّعائهم أنّ سيبويه سرق جهود استاذه الخليل ونسبها إلى نفسه إمّا

بقصد أو بغير قصد, وكأنّهم يستكثرون على فارسي مثل سيبويه أن يُؤلّف كتاباً في النحو ذاع صيته في الآفاق , وكان لابدّ أن يكون هذا العمل الإبداعي لعربي قح مثل الخليل الفراهيدي.

فيرى الدكتور مهدي المخزومي أنّ الكتاب للخليل بيّد أنّ القدماء تناسوا ((صاحب الفضل فيه ,فأرجعوا كل شيء فيه الى سيبويه , ولو أنصفوا لوفوا الخليل بن احمد الفراهيدي حقه ؛ لأنّه (كتابه), وأكثر ما فيه آراؤه وأقواله , وكان لسيبويه فيه فضل جمع هذه الآراء, وتنسيقها وتبويبها وتسجيل آراء أخرى لشيوخه الآخرين))[61].

وذكر في موطن آخر أنّ الدرس النحوي ((عند الخليل اذن هو الذي عرفته العصور المتعاقبة , فلو تتبعنا النحاة سلفاً عن سلف لرأيناهم يصدرون من مورد واحد هو (الكتاب) , والكتاب هو كتاب الخليل في جملته وتفصيله , وعنه أخذ أعلام الدرس , وأئمة النحاة))[62]، والدليل أنّ الدكتور المخزومي انطلق في رأيه هذا من منطلقات قوميّة وليس من باب الاعجاب والاكبار لشخصية الفراهيدي الفذّة فحسب ؛ لأنّه ذكر كلامه هذا في مجال ردّه على المستشرقين ومنهم (بارتولد) الذي يرى أنّ علوم العربيّة قد وضعها **الأعاجم**,[63]فأخذته الحماسة ليقع فيما وقع فيه المستشرقون , فهم يتعصبون ضد العرب وهو تعصّب للعرب ضد الأعاجم، ويمكن إضافة سبب آخر على تعصبه للخليل (العربي) هو أن الدكتور المخزومي كان ضمن الطلبة المبتعثين لدراسة العربيّة في دولة مصر العربيّة في بداية خمسينيات القرن الماضي , وهي الفترة التي شهدت وصول الحسّ القومي لذروته مع وصول الضباط الأحرار للسلطة بزعامة عبد الناصر المنادي بالقومية العربية.

وإذا عدنا للكتاب الذي ألّفه سيبويه , فنرى آراء الخليل طاغية فيه ولا عجب في ذلك فهو استاذه الأول, وكذلك آراء لعلماء آخرين , ولكن للإنصاف ((فلم يك سيبويه في كتابه جمَّاعاً لآراء السابقين فحسب، بل له شخصية قوية ظهرت في ابتداع بعض القواعد، وفي ترتيب الكتاب حاوياً عناصر الفن كلّها، وتبويبه واضعاً كل شيء وما يتصل به معه، وحسن التعليل للقواعد، وجودة الترجيح عند الاختلاف، واستخراج الفروع من القياس الذي امتلأ به الكتاب، فكثيراً ما يقول: والقياس كذا، أو: والقياس يأباه))[64]، وكيف يكون كتاب الخليل وحده , وهذا سيبويه يصرح أنّ جميع ما ذكرت لك في باب (التصغير) وما أذكر لك في الباب الذي يليه هو قول يونس بن حبيب[65]، وكذلك أنصفته الدكتورة خديجة الحديثي التي رأت ((أنّ سيبويه لم يكن يمثل دور الجامع المدّون فقط , وإنّما كانت له شخصيته الواضحة في العرض والمناقشة والترجيح والتفصيل , وقد يكون الموضوع مبنياً على رأيه هو ولم ينقل عن أحد شيوخه))[66]، ولم يتناسَ القدماء ولا المحدثون فضل الخليل في الكتاب , فجلّهم يرون بصمة الفراهيديّ فيه , وإنّما انصفوا بالوقت نفسه سيبويه كذلك , ولم يجحدوه فضله.

وكذلك ذهب الدكتور هادي حسن حمودي في اتجاه التعصب القومي وألّف كتاباً بعنوان (فصل الخطاب في جواب من ألّف الكتاب) , وقبل أن نذكر آراءه نودّ أن ننبه على أنّ دافعه قومياً بدلالة قوله بأن ((الكتاب ليس أكثر من محاضرات ,ألقاها الخليل على سيبويه , كما زعم تلميذه الأخفش سعيد بن مسعدة (وهو من بلخ في بلاد فارس أيضاً) , وتلقى الناس عنه هذه الفكرة حتى استقرت في الأذهان))[67].

وبهذا اتضح أنّ دافع الدكتور هادي حسن كان قومياً, فقد فسّر أنّ الأخفش تواطئ مع ابن جلدته للسطو على تراث الخليل ، ورأى أنّ الكتاب هو عبارة عن أمالي الخليل وكان ((سيبويه شأنه شأن سائر تلامذته الآخرين , كان يدوّن ما يسمع , وكان أن ترك الخليل تلك الأوراق لدى سيبويه , وبعد وفاة الخليل شاء سيبويه أن يجمع تلك الأوراق , وكان من الطبيعي أن يُضيف سيبويه أشياء مما رآه أو شيئاً مما سمعه من يونس وغيره))[68]، وهذا تجني على سيبويه أكثر من تجني الدكتور المخزومي ؛ لأنّه يصوّر إمام النحو عبارة عن لصّ سارق لجهود استاذه الخليل وجاحد لفضله وناكر لعرفانه عليه , وقد اشترك مع الأخفش في سرقة مجهودات استاذه وانتحلها لنفسه بدون وجه حق!، وشكّك الدكتور هادي في قدرة سيبويه في معرفة الأصوات الثقيلة والخفيفة كحروف العلة مؤكداً أنّ ((التحليل والتعليل لا يقدر عليه كثير من العرب أنفسهم , إذ لا يصدر إلّا من لاحظ ودقّق وأحسّ بما يُحسّون به , ولديه من العبقرية ما يؤهله لفهمهم حقّ الفهم, ولفهم لغته هو لأنّها سليقة

له , وطبيعة من كيانه))[69]، فالدكتور يستكثر أن تكون لديه ذائقة يُميز بها الأصوات ؛ لأنّه ليس بعربي الأصل وكذلك لا يملك العبقرية التي تؤهله لذلك.

وأضاف أنّ سيبويه قد ينسب للخليل قولاً بعد ستين صفحة أو بعد ستمئة صفحة من صفحات الكتاب المطبوع[70], وأرى ذلك مبالغة أن يكون ما قبل هذه الصفحات للخليل من دون ذكر اسمه , فإذا كان الخليل يملي عليه فلماذا لم يذكره خلال تلك الصفحات!، وإذا كان الكتاب عبارة عن أمالي فقط , وكان يمليها الخليل على طلابه ومنهم سيبويه, فلماذا لم يسمع طالب آخر بهذه الأمالي , ويسجّل اعتراضاته على سيبويه بأن تفرّد بها من دونهم؟ إلاّ أن لا يكون للخليل تلامذة سوى سيبويه , وهذا محال باعتراف الدكتور نفسه بأن سيبويه أحد التلامذة الذين يستملون , فضلاً عن ما ذُكر في باب التصغير الذي هو كلّه من أقوال يونس بن حبيب , وكذلك وجود أقوال يونس الكثيرة في غير باب التصغير , وكذلك أقوال أبو زيد الأنصاري الذي يعبّر عنه بالثقة[71], وغيرهما حتى وصلوا إلى اثنين وأربعين انساناً منهم سيبويه كما ذكر ذلك ثعلب[72], والدكتور هادي حينما ذكر هذه الرواية شكّك فيها , ثم يقول : ربّما استعان بهم سيبويه من أجل جمع (علم الخليل) , والرواية تؤكد أنّ الأصل والمسائل للخليل ولو جردّت الكتاب منها فلن يبقى من شيء يُذكر[73].

ولا يوجد مستند قوي يستند إليه الدكتور حتى يُشكّك بهذه الرواية ؛ لأنّ ابن النديم يقول : إنّه قرأها بخط ثعلب , وتحليله لهذه الرواية يدحض مزاعمه من الأصل ؛ فالسؤال المتبادر أين أولئك الأشخاص الذين استعان بهم سيبويه لجمع علم الخليل؟ ولماذا لم يعترض أحد منهم بأنّ الكتاب للخليل وأنّه شخصياً قد ساهم في جمعه؟ ولا أرى أنّ الدكتور يملك الإجابة؟ وإذا كان ينوي سيبويه أن ينسب الكتاب لنفسه فلماذا يذكر الخليل بهذه الكثرة , إذ يكفي أن يذكره في مرات قليلة كما ذكر غيره من العلماء بحيث لا يُشكّل ظاهرة طاغية في الكتاب.

ويبدو مما تقدم أنّ الدكتور هادي قد سبر أغوار الكتاب , ووقف عليه وقفة فاحص مدقّق , ومع هذا أغفل اعتراضات سيبويه على الخليل في الكتاب , ومنها اختلافهما حول (لن) هل هي أداة مركّبة من (لا) و(أن) كما ذهب الخليل, أم بسيطة من دون التركيب كما ذهب سيبويه[74]، وكذلك اختلافهما في (أيّ) الواردة في قوله تعالى : { **ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا** }[مريم:96] ، فذهب الخليل أنّه مرفوع على الحكاية , والتقدير : لننزعنّ الذي يُقال فيهم : أيُّهم أشدّ, وهي ههنا استفهامية وذهب سيبويه أنّه مبني على الضم , وهي موصولة بمعنى الذي في نصب مفعول به لننزعنّ , أي : لننزعنّ الذي هم أشدّ, وصدر صلتها محذوف, وإذا لم تُحذف الصلة اعربت بالاتفاق[75].

فكان عليه ذكر تلك الخلافات وغيرها ولا يكتفي فقط بذكر اختلافهما في مخارج الحروف بعبارات عائمة تُوحي للقارئ أن لا خلاف بينهما , ولكنّه يُدرك لو ذكر تلكم الخلافات لانتفى زعمه أنّ الكتاب هو عبارة عن أمالي للخليل، وثمة شيء آخر يعدّ أكبر برهاناً وأجلى بياناً أنّ الكتاب لسيبويه وليس للخليل , وهو ما عقد سيبويه باباً أسماه (باب اطراد الإبدال في الفارسية) وقال فيه : ((يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم: الجيم، لقربها منها. ولم يكن من إبدالها بدٌّ؛ لأنها ليست من حروفهم. وذلك نحو: الجربز، والآجر، والجورب، وربما أبدلوا القاف لأنها قريبةٌ أيضاً، قال بعضهم: قربزٌ، وقالوا: كربقٌ، وقربقٌ))[76]، فهذا الباب لا يدع مجالاً للشكّ أنّ الكتاب له , وهو واضح كوضوح الشمس بلا حجاب ؛ لأنّ الخليل وبحسب كلّ من ترجم له لم يُؤثر عنه أنّه يعرف الفارسيّة أو تعلم شيئاً منها , ولا ندري كيف فاتت هذه المعلومة لمن سبر أغوار الكتاب؟ أوليس من باب الأمانة أن يذكر هذا الباب ليجعل كلامه قابلاً للشك واليقين! لا من باب القطع , إلّا أنّه قد قرأه وتغافل عنه , ونسي هذا الدكتور أنّ الكتاب – ولله الحمد- لم يعدّ حكراً على أحد.

بقي أن نُشير إلى أنّ اسم الخليل أكبر من الكتاب , ولا يرفع شأنه إن نُسب إليه أو لتلميذه, إذ يكفي أنّه الخليل وكفى , فهو أول من وضع معجماً لغوياً, وهو كذلك من ابتكر بعبقريته علم العروض أو موسيقى الشعر, وآراؤه النحويّة المبثوثة في الكتاب أو في مكان آخر شاهد صارخ على عقليته المُبتكِرة وعلمه الواسع.

وخلاصة القول : ((ولسنا نرى محلاً للتغالي في الشكّ فإن سيبويه هو الذي صنّفه , ودوّن فيه ما تلقاه عن أساتذته , وما وصل إليه أئمة عصره ومن سبقوهم , وجمع فيه متفرق الآراء , ومختلف الشواهد , وله على الأقل فضل التنظيم وحسن العرض والالمام))[77]

ومن أولئك الذين هاجموا سيبويه بسبب قوميته الفارسية وحمّلوه وزر تعقيد النحو وصعوبته الاستاذ زكريا أوزون , الذي ألّف كتاباً أسماه (جناية سيبويه) ,واتّهم سيبويه بأنّه ((لم ينجح في عقلنة قواعد اللغة العربيّة ... والسبب ببساطة يعود إلى أنّه سيبويه – كونه **فارسيّ** الأصل – قام بوضع قواعد لأمثاله في ذلك الوقت كي لا يُلحنوا في لفظ كلمات اللغة العربيّة – لغة العلم والعلم آنذاك – لذلك فقد انصّب اهتمام سيبويه على النقل وعلى حركة أواخر الكلمات , وجاء للأسف – من بعده بعض العرب ليعتمدوا تلك القواعد وليعتبروها قواعد لغتهم وقرآنهم))[78].

أذا أنعمنا النظر إلى عنوان الكتاب (جناية سيبويه) - كونه أول عتبة للوقوف فيها على النصّ - سنُدرك قساوة العنف الممارس ضدّه ؛ لأنّ كلمة جناية في اللغة تعني ((الذنب والجرم وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العقاب أو القصاص في الدنيا والآخرة))[79]، فالأستاذ أوزون يرى أنّ سيبويه هو أول جانٍ على النحو ؛ لأنّه أول من اهتم بأواخر الكلمات التي يجلبها العامل , وهذا تجني على سيبويه ؛ لأنّه ليس أول من قال بذلك ؛ إذ سبقه العديد من العلماء , ولا أدلّ من الخلاف الذي نشب بين ابن ابي اسحق والشاعر المعروف الفرزدق[80] , في توجيه قوله :

وعضُّ زمان يا بن مروان لم يدع ... من المال إلا مُسحتاً أو مُجرَّفُ[81]

فابن اسحق يرى أنّ الفرزدق قد لحن في ذلك ؛ لأنّه قد عطف اسماً مرفوعاً على آخر منصوب , وهذا لا يجوز في النحو , وجناية سيبويه أنّه اثبت تلكم القواعد التي تلقاها من أستاذه (العربي) الخليل في كتابه , والنحو العربيّ سواء نُسِب لأمير المؤمنين علي سلام الله عليه أم لأبي الأسود رضوان الله عليه , فهو عربيّ النشأة , وهذا لا يختلف عليه عاقلان , بعيداً عن تأثير الأعاجم بتاتاً.

ويعلّق الدكتور نبيل أبو عمشة على كتاب الأستاذ أوزون قائلاً : ((ومثل هذا الكلام تشتمّ منه رائحة العصبيّة المقيتة , ولا يصدر اليوم إلّا عمّن لا يُريد الخير لإمته ؛ وإلّا فكثيرٌ من علماء اللغة والنحو والطبّ والفلسفة والدين والاجتماع , وكثيرٌ من أدبائنا وشعرائنا ليسوا في أصولهم عرباً , فهل ننسلخ عنهم ونتبرأ من إبداعهم وإن كان بالعربيّة! ألم يذبّ هؤلاء في معين الثقافة العربيّة , فأصبحوا جزءاً من هذه الأمة وتراثها!.

والفرق بين الكاتب الذي يُبدي حرصه على عروبته وعروبة لغته , وبين هؤلاء العلماء **(الأعاجم)** , أنّ الأول شديد الهزء بلغته وقواعدها ...أمّا هؤلاء الذين يهاجمهم فقد تغنّوا بالعربيّة وبُهروا بها))[82].

وثمة باحث آخر رأى أنّ سيبويه **(الفارسي)** قد عاث في النحو العربي فساداً وصل إلى درجة التجميد والتحنيط من خلال سنّه لقواعد تُسهّل على ابناء قومه (الفرس) تعلم اللغة العربية، يقول الدكتور عودة الله القيسي : ((سيبويه هو أحد نحاة البصرة **الفرس** .. تبع رؤية اسلافه النحاة من **الفرس** , وهو أنّهم قد كان محفوراً في خلفية أدمغتهم أنّهم يريدون أن يُسهّلوا اللغة على بني جلدتهم الذين تدفقوا على بلاد الحضارة الجديدة ..كانت رؤية سيبويه العربيّة قاصرة أو موجّهة بما سبق بيانه , فانتهى الى قوانين اللغة (قواعد) كانت قواعد دكتاتورية جمّدت اللغة وحنّطتها, يُضاف سبب آخر ... وهو أنّ اللغة لم يكن قد اكتمل جمعها عند إعداد وتأليف سيبويه كتابه , ما أدى إلى قصور بعض قواعده وانحرافها عن الصواب))[83].

وقد خلط الدكتور القيسيّ بين أمرين , بين صعوبة القواعد النحويّة من جهة والاستقراء الناقص من جهة , وكأنّهما حقيقة واحدة , ولكنّ الحقيقة غير ذلك , إنّنا لا نُنكر أنّ الاستقراء الناقص للنحويين قد أسهم في صعوبة النحو نوعاً ما؛ إذ ألجأهم للتقديرات والتأويلات , ولكنّ المشكلة لا تكمن فيه وحده وحسب , بل هو جزء من منظومة مشاكل سببت تعقيد النحو

وصعوبته , منها الاستعمال السيء لنظرية العامل , ومزج المنطق بالنحو , والترف العقلي الذي مارسه النحويون وما إلى ذلك , وإذا تنزلنا جدلاً مع كلام الدكتور القيسي ورأينا أنّ الاستقراء الناقص هو أساس المشكلة فمن التجني أن نحّمل سيبويه وحده وزر ذلك , فهذه فرية بلا مُرية ؛ لأنّ النحو قد وصل مرحلة النضج في مرحلة تأليف الكتاب , ولا سيّما إذا علمنا أنّ سيبويه يُعدّ أحد نحويي الطبقة السادسة من نحويي البصرة[84], فقد سبقه العديد من النحويين الذين أرسوا دعائم النحو , وعبّدوا طريقه أمام سيبويه ومن جاء بعده .

وقد ناقض الدكتور القيسي نفسه عندما قال : إنّ جلّ كتاب سيبويه إعداد ؛ لأنّه من نحو الخليل , بعدما ذكر الدكتور أنّ الخليل كان النحويّ (العربيّ) الشهير الوحيد في البصرة في ذلك الوقت[85]، فإذا كان الكتاب عبارة عن إعداد من نحو الخليل (العربي) وإنّ سيبويه يمثل دور الجمّاع فلماذا نحّمله جنايته؟ فالمنطق يقتضي أن نتهم الخليل بأنّه هو من حنّط العربيّة ؛لأنّ الكتاب وباتفاق النحويين قديماً وحديثاً هو ثمرة لأفكار الخليل وعبقريته , ولكنّ من دون ان نسلب سيبويه حقه في التبويب والترتيب والترجيح والتفصيل , ومناقشة الآراء وردّ بعضها , حتى وإن كانت صادرة من لدن الخليل نفسه.

ولو افترضنا – وفرض المحال ليس بمحال- أنّ الخليل هو الفارسي وسيبويه العربي لسمعنا من القوميين العرب أنّ الخليل الفارسيّ هو من يتحمل تبعات صعوبة النحو ولبرأوا ساحة سيبويه العربي ؛ لأنّه تلميذه وهو مغلوب على أمره ؛ فالتهمة جاهزة ولكن يبحثون عن مصداق لها.

ونرى أنّ توصيف سيبويه بالدكتاتور فيه مغالطة كبيرة وإساءة للنحويين العرب في الوقت نفسه , فالدكتاتور هو من يملك السلطة ليمارس فرض آرائه بالقوة والبطش على الاخرين , فالسلطة إمّا فكريّة أو ماديّة , ومُحال أن تكون فكريّة ولم تلقَ معارضة من البشر؛ وهذا أمر لم يتحقق لجميع الأنبياء مع اتيانهم بالمعجزات , وأمّا أن تكون سلطته ماديّة وهذا يتنافى مع خسارته في مناظرته الشهيرة (الزنبوريّة) مع الكسائي التي وصفت بأنّها خسارة سياسية[86], لأنّه لم يكن له حظوة عند الحكّام , ولم يكن نديماً لهم , أو مؤدباً لأبنائهم , كالكسائي , واليزيدي , والمبرد , وابن السكيت وغيرهم.

وفي كلام الدكتور القيسي اساءة للنحويين العرب الذين ردفوا سيبويه , فما بالهم لم يثوروا على قوانينه الجائرة التي كبّلت النحو وحنّطته خدمة للأعاجم ! إلّا اذا كانوا عاجزين من الإتيان بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

أبرز نتائج البحث

1- العنف مصطلح واسع يشمل العنف الجسدي كالضرب والقتل وما الى ذلك من ممارسات وحشية , ويشمل اللفظ الجارح أيضاً لما له من أثر في النفوس.
2- ممارسو العنف لا ينتمون لتيار معين , أو لبيئة معينة , بل الكل فيه سواسية , سواء علماء أم جهال.
3- يعد سيبويه من أكثر النحويين الذين تعرضوا للعنف القومي .
4- وبالمقابل يعد أو حيّان من أكثر النحويين الذين مارسوا العنف ضد مخالفيه.
5- إنّ الأساس الذي انطلق منه أبو حيّان في مهاجمة الزمخشري هو ديني صرف , ولكنّه اتخذ العامل القومي مطية لذلك.
6- لم يسلم من العنف حتى قرّاء القرآن الكريم الذين هم أصلاً ناقلون للقراءات وليس مبتدعيها.
7- قابل النحويون المحدثون معروف سيبويه بتأليف الكتاب بالتنكر والجحود , فمرة يتهمونه بسرقة جهود الخليل , ومرة بتحنيط النحو .

الهوامش

([1])الحيوان : 7 / 59 , وينظر لغة العنف وعنف اللغة : مقاربة لسانية نفسية (بحث) , الدكتور مراد موهوب : 8

([2]) مجتمع اللّاعنف , حسن السيد عز الدين بحر العلوم : 74.

([3]) مقاييس اللغة , ابن فارس : 4 / 158

([4]) لسان العرب , ابن منظور : 9 / 257

([5]) مجتمع اللّاعنف : 37.

([6]) العنف الأسري وتأثيره في شخصية الطفل , صبا حسن عبد علي ومينا رعد خيون (بحث) : 363.

([7]) قراءة سيوسيولوجية في ظاهرة العنف ضد الأصول , الأسباب والحلول , الدكتور سعدي زيوش : 2

([8]) لغة العنف وعنف اللغة : 4

[(9)] يُنظر : البيان والتبيين : 45/2 ، ومدرسة الكوفة : 36.

[(10)] مدرسة الكوفة : 13-14.

[(11)] يُنظر: مراتب النحويين : 57.

[(12)] يُنظر: انباه الرواة : 2/ 106 ويُنظر نزهة الالباء : 27.

[(13)] يُنظر: تاريخ النحو واشهر النحاة : 100.

[(14)] اي سيبويه.

[(15)] مجالس العلماء : 118.

[(16)] يُنظر: مجالس العلماء : 118 ، و طبقات النحويين واللغويين : 66.

[(17)] معجم الادباء : 1/ 56.

[(18)] المصدر نفسه : 1/ 56.

[(19)] يُنظر: معجم الأدباء : 1/ 56.

[(20)] مراتب النحويين : 105.

[(21)] يُنظر: طبقات النحويين واللغويين : 68.

[(22)] المنصف : 307

[(23)] يُنظر: المقتضب 1: 123.

[(24)] البحر المحيط : 5/ 15.

[(25)] معرفة القرّاء الكبّار على الطبقات والأعصار , الذهبي : 64.

[(26)] يعني حمزة الزيات.

[(27)] تأويل مشكل القرآن : 42.

[(28)] أبو الحسين بن الطرّاوة وأثره في النحو: 61.

[(29)] يُنظر: الإيضاح : 41.

[(30)] رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح : 33. ويُنظر : أبو الحسين بن الطرّاوة وأثره في النحو: 61.

[(31)] مجمع الأمثال , الميداني : 2/ 300 ويُضرب لم يَضَع الشَّبَهَ في غير موضعه؛ لأنه ليس أحدٌ أولى به منه بأن يشبهه، ويجوز أن يراد فما ظلم الأَبُ، أي لم يظلم حين وضع زَرْعَه حيث أدَّى إليه الشبه، وكلاَ القولين حسن.

[(32)] رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح : 83.

[(33)] يُنظر: هامش محقق رسالة الإفصاح : 83.

[(34)] الإيضاح العضدي : 229.

[35] يُنظر: أبو الحسين بن الطرّاوة وأثره في النحو: 19–20.

[36] يُنظر: إنباه الرواة : 4/ 114.

[37] يُنظر: الحجة في علل القراءات السبع : 2/ 261 –262.

[38] يُنظر: الكشّاف : 1 / 345.

[39] البحر المحيط : 3/ 68.

[40] الدر المصون : 3/ 89.

[41] البحر المحيط : 8/ 419.

[42] المفصل في صنعة الإعراب : 443.

[43] يُنظر: مغني اللبيب : 356.

[44] يُنظر: المصدر نفسه : 357.

[45] يُنظر: مغني اللبيب : 356 – 357.

[46] يُنظر: شرح المفصل : 5/ 124.

[47] يُنظر: الأعلام : 8/ 206.

[48] الكشّاف : 2 / 301 – 302.

[49] البحر المحيط : 5/ 484.

[50] الدر المصون : 6/ 100.

[51] يُنظر: البحر المحيط : 4/ 658.

[52] مقدمة البحر المحيط : 1/ 20.

[53] يُنظر: الدر المصون : 8 / 290.

[54] يقصد ابن عامر صاحب هذه القراءة .

[55] في أصول النحو : 44.

[56] غيث النفع في القراءات السبع : 53.

[57] ينظر: بغية الوعاة : 1 / 280.

[58] يُنظر: إتمام الأعلام , الدكتور نزار أباظة و محمد رياض المالح : 109.

[59] الكتاب : 2 / 127.

[60] اللغة والنحو بين القديم والحديث : 215 – 216.

[61] مدرسة الكوفة : 13–14.

[62] الفراهيدي عبقري من البصرة : 93.

[63] ينظر: الفراهيدي عبقري من البصرة: 86.

[64] نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : 69.

[65] يُنظر: الكتاب : 3 / 423 , ويُنظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : 68.

[66] المدارس النحويّة : 92.

[67] فصل الخطاب في جواب من ألّف الكتاب: 15.

[68] المصدر نفسه: 12.

[69]المصدر نفسه: 35.

[70] فصل الخطاب: 22.

[71] يُنظر : العقد الثمين في تراجم النحويين : 22

[72] يُنظر: الفهرست : 74.

[73] فصل الخطاب : 13.

[74] يُنظر: الكتاب : 3/ 5 و مقدمة محقق كتاب النكت الحسان في غاية الإحسان لابي حيان : 16.

[75] يُنظر: الكتاب : 2/ 399 – 401 و أمالي ابن الحاجب : 147 – 148 والأشباه والنظائر : 5 / 35 – 36.

[76] الكتاب : 4/ 305.

[77] المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل , الدكتور عبد العزيز عبده أبو عبد الله : 1 / 252.

[78] جناية سيبويه الرفض التام لما في النحو من أوهام : 18.

[79] لسان العرب : 14: 154.

[80] يُنظر: نزهة الالباء : 27– 28.

[81] يُنظر: ديوانه : 386.

[82] نظرات في كتاب جناية سيبويه (بحث) : 208.

[83] سيبويه دكتاتور النحو ومحنّط العربية (بحث) : 13.

[84] يُنظر: طبقات النحويين واللغويين : 66.

[85] يُنظر: سيبويه دكتاتور النحو ومحنّط العربية : 13.

[86] يُنظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : 45.

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : الكتب المطبوعة

1- أبو الحسين بن الطرّاوة وأثره في النحو , الدكتور محمد إبراهيم البنا , دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع , تونس , ط1 , 1400ه – 1980م.

2- إتمام الأعلام , د. نزار أباظة و محمد رياض المالح , دار صادر , بيروت , ط1 , 1999م.

3- الاشباه والنظائر في النحو , جلال الدين السيوطي ت 911ه ,تح : الدكتور عبد العال سالم مكرم , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط1 , 1406ه – 1985م.

4- الأعلام ، الزركلي (ت1396هـ) ، دار العلم للملايين ، ط15، 2002 م.

5- أمالي ابن الحاجب , ابن الحاجب (ت646ه) , دراسة وتحقيق : د. فخر صالح سليمان قدارة , دار عمّار , عمّان , دار الجيل . , بيروت , (د.ت) , (د.ط).

6- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت 646هـ) ، المكتبة العنصرية، بيروت ، ط1، 1424هـ.

7- الإيضاح العضدي , أبو علي الفارسيّ (ت٣٧٧ هـ) , تح: د. حسن شاذلي فرهود , ط1 ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

8- البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان الأندلسي (ت745ه) ، تح : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ط) ، 1420هـ .

9- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، لبنان ، صيدا ، (د.ط)، (د.ت).

10- البيان والتبيين ، الجاحظ (ت255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، (د.ط)، 1423هـ.

11- تأويل مشكل القرآن , ابن قتيبة الدنيوري (ت276ه) , تح : أحمد صقر , مكتبة دار التراث , القاهرة , (د.ط) , (د.ت).

12- جناية سيبويه الرفض التام لما في النحو من أوهام , زكريا أوزون , رياض الريس للكتب والنشر , ط1 , 2002م.

13-الحجة للقراء السبعة , أبو علي الفارسي(ت ٣٧٧هـ) , تح: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي , راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق , دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت , ط:2 ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م

14-الحيوان ، الجاحظ (ت255هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 1424هـ.

15- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (ت756هـ) ، السمين الحلبي ، تح : د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، (د.ط) ، (د.ت).

16-ديوان الفرزدق , شرحه وضبطه وقدّم له :علي فاعور , دار الكتب العلمية , بيروت ,ط1 , 1407ه – 1987م.

17-رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح , ابن الطرّاوة النحويّ (ت 528ه) , تح : د حاتم صالح الضامن , عالم الكتب , بيروت , ط2 , 1416ه – 1996م.

18- شرح المفصل للزمخشري ، ابن يعيش (ت643ه)، قدم له : د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1422ه - 2001م.

19- طبقات النحويين واللغويين , أبو بكر الزبيدي الاندلسي, تح: محمد ألو الفضل إبراهيم , دار المعارف ,القاهرة , ط2، (د.ت).

20- العِقْد الثمين في تراجم النحويين ,شمس الدين الذهبي ت 748ه , تح : الدكتور يحيى مراد , دار الحديث , القاهرة , (د.ط) , 1435ه – 2004م.

21- غيث النفع في القراءات السبع , علي النّوري السفاقسي (ت 1118ه) , تح : أحمد محمود عبد السميع الشافعي, دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , 1425ه – 2004م.

22- فصل الخطاب في جواب من ألّف الكتاب, الدكتور هادي حسن حمودي , منشور في شبكة الألوكة على النت.

23- الفراهيدي عبقري من البصرة ، د. مهدي المخزومي , دار الشؤون الثقافية , بغداد , ط2 , 1989م.

24-الفهرست ، ابن النديم (ت438هـ)، تح :إبراهيم رمضان ، دار المعرفة بيروت ، لبنان، ط2، 1417 هـ - 1997م.

25-في أصول النحو , سعيد الأفغاني , المكتب الإسلامي , بيروت , لبنان ,(د.ط)، 1407ه ــ 1987م.

26- الكتاب ، سيبويه (ت180ه) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1408 هـ ـ 1988م.
27- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري (ت538هـ) ، دار الكتاب العرب ، بيروت ، ط3 ، 1407هـ .
28- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت711هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1414ه.
29- اللغة والنحو بين القديم والحديث , عباس حسن , دار المعارف بمصر ,(د.ط) , 1966م.
30- مجالس العلماء , أبو القاسم الزجاجي(339هـ)، تح : عبد السلام محمد هارون , مكتبة الخانجي ، القاهرة , دار الرفاعي ، الرياض , ط2 , 1403هـ ــ1983م.
31- مجتمع الّلا عنف , حسن السيد عزّ الدين بحر العلوم , دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع , قم المقدّسة , إيران , ط1 ,1427ه – 2006م.
32- مجمع الأمثال , أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ) , تح: محمد محيى الدين عبد الحميد , دار المعرفة - بيروت، لبنان , (د.ط) , (د.ت).
33- المدارس النحويّة , الدكتورة خديجة الحديثي , دار الأمل للنشر والتوزيع , الأردن , ط3 , 1422ه – 2001م.
34-مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو , د. مهدي المخزومي , شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر , القاهرة , ط2 , 1958م.
35-مراتب النحويين , أبو الطيب اللغوي , تح: محمد أبو الفضل إبراهيم , المكتبة العصرية , صيدا, بيروت , لبنان , (د.ط)، 1430ه ــ 2009م.
36-معجم الأدباء ، ياقوت الحموي (ت:626هـ)، تح: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1، 1414هـ ــ 1993م.
37-معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (د.ط) ، 1399ه - 1979م.
38- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار , شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) , دار الكتب العلمية , ط : 1 , ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.
39- المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل , الدكتور عبد العزيز عبده أبو عبد الله , منشورات الكتاب والتوزيع والاعلان والمطابع , طرابلس , ليبيا , ط1 , 1391ه- 1982م.
40-مُغنِي اللبيب ، ابن هشام الأنصاري ، تح : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، ط6 ، 1985م.
41- المفصل في صنعة الإعراب , جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) , تح : د. علي بو ملحم , مكتبة الهلال – بيروت , ط1، , 1993م.
42- المقتضب ، المبرد، تح : محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت).
43- المنصف ، أبو جني (ت392هـ)، دار إحياء التراث القديم ، ط1 ، 1373هـ ـــ 1954م.
44- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ابو البركات الأنباري ، (ت577هـ) ، تح: إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار، الزرقاء ، الأردن، ط3، 1405هـ ــ 1985م

45-نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، الشيخ محمد الطنطاوي ، تح: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط1، 2005م-1426هـ.

46- النكت الحسان في غاية الإحسان لابي حيان الاندلسي (ت 745ه) , تح : عبد الحسين الفتلي , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط1 , 1405ه – 1985م.

ثالثاً: البحوث والدوريات

1- سيبويه دكتاتور النحو ومحنّط العربية , الدكتور عودة الله القيسي , مجلة أفكار , العدد : 285, شهر اكتوبر , 2012م.

2- العنف الأسري وتأثيره في شخصية الطفل , صبا حسن عبد علي ومينا رعد خيون , مجلة العلوم النفسية – وزارة التعليم العالي , العدد 25 , 2017.

3- قراءة سيوسيولوجية في ظاهرة العنف ضد الأصول , الأسباب والحلول , الدكتور سعدي زيوش , جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر , العدد 7 , 2017 , (30 يونيو – حزيران).

4- لغة العنف وعنف اللغة : مقاربة لسانية نفسية , د. مراد موهوب منشور على شبكة النت.

5 - نظرات في كتاب (جناية سيبويه) , الدكتور نبيل أبو عمشة , مجلة التراث العربي, العدد (93 – 94) , (محرم – ربيع الثاني) 1425ه , (آذار – حزيران) 2004م, السنة الرابعة والعشرون.